# مقاصد دراسة التوحيد وأسسها


أ.د. محمد بن عبد الرحمن أبو سيف الجهني

الأستاذ بقسم العقيدة
في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

ح محمد عبد الرحمن الجهني ، ١٤٣١هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الجهني ، محمد عبد الرحمن
مقاصد دراسة التوحيد وأسسها . / محمد عبد الرحمن
الجهني . — المدينة المنورة ، ١٤٣١هـ
٤٨ ص ، ١٢ × ١٧سم
ردمك : ٥ - ٤٤٢٤ — ٠٠ - ٦٠٣ - ٩٧٨
١- التوحيد أ - العنوان
ديوي ٢٤٠ ١٤٣١/١٥٣٠

رقم الإيداع : ١٤٣١/١٥٣٠
ردمك : ٥- ٤٤٢٤ - ٠٠- ٦٠٣ - ٩٧٨



الطبعة الأولى
١٤٣١هـ



بسم الله الرحمن الرحيم

**مقدمة**

الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، والصلاة والسلام على النبي الكريم وعلى آله وصحابته ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد : فهذا بحث نقرر فيه مقاصد دراسة التوحيد ، وهي مقاصد تقوم على أسس علمية لا تتحقق إلا بها ، وسنذكر لكل مقصد أسسه ، مبينين وجه كون كلٍ منها أساساً ، وأدلة كونه كذلك .

**ومقاصد دراسة التوحيد أربعة هي :**

١ – معرفته والعلم به .

٢ – العمل به .

٣ – الاجتماع عليه .

٤ – الدعوة إليه.

وعلى هذه الأربعة تقوم خطة البحث ، وهذه المقاصد وأسسها نبه إلى معظمها الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في عدد من تآليفه كالمسائل الأربعة[١] ، والقواعد الأربعة[٢] ، والأصول الستة[٣] ، والمسائل الثلاث[٤] ، وتفسير كلمة التوحيد[٥] ، والحالات الثمان[٦] ، والرسالة في توحيد العبادة[٧] ، وقد هذبتها في هذا التقريب بترتيب وتأليف وتعليق اتكأت في غالبه على كلام الشيخ محمد وضممت إليه شيئاً من البيان .

---

(١) انظرها في مؤلفات الشيخ – القسم الأول «العقيدة والآداب الإسلامية» ص ١٨٥ .
(٢) انظرها في مؤلفات الشيخ – القسم الأول ص ١٩٧ – ٢٠٢ .
(٣) انظرها في مؤلفات الشيخ – القسم الأول – ص ٣٩٣ – ٣٩٧ .
(٤) انظرها في مؤلفات الشيخ – القسم الأول – ص ٣٧٤ – ٣٧٥ .
(٥) المرجع السابق ص ٣٦٣ – ٣٦٩.
(٦) المرجع السابق ٣٩٠ – ٣٩٢ .
(٧) المرجع السابق ص ٣٩٨ – ٣٩٩.

وظننت عملي هذا نافعاً ينشئ فائدة لمن يطلع عليه ، فرغبت في نشره رجاء أن يصدق ظني هذا .

وأقول ما قال الحريري في ملحته :

وإن تجد عيباً فسد الخللا

فجلَّ من لا عيب فيه وعلا

هذا ، وقد سبق أن نشرت هذا البحث { مجلة البحوث الإسلامية } الصادرة عن الأمانة العامة لهيئة كبار العلماء التابعة للرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء ، في عدد رقم (٨١) لشهري ربيع وشهري جمادى ١٤٢٨هـ من الصفحة رقم (٦٣) إلى الصفحة رقم (٩٠) .

وأسأل الله صلاح القصد وجزيل الأجر . وله الحمد أولاً وآخراً لا شريك له .

**أ.د. محمد بن عبد الرحمن أبو سيف الجهني**
**الأستاذ بقسم العقيدة بالجامعة الإسلامية في المدينة المنورة .**

## المبحث الأول : معرفة التوحيد والعلم به

### معرفة التوحيد والعلم به نوعان :

**الأول** : معرفة حقيقته وأصله وهي إقامة الوجه لله بكمال المحبة مع كمال الذل ، وهذا علم مطلوب لذاته فهو في نفسه غاية مطلوبة ومقصد مقصود ، تنشأ ثمرته المطلوبة منه من نفسه ، وإنما كان غاية مقصودة لذاتها لأمور :

١- لتعلقه بذات الله عز وجل فهو حقه سبحانه على عباده قال ﷺ في حديث معاذ : (( حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً ))[(١)] والله يعبد لذاته سبحانه.

٢- لأن الله خلق الخلق ليبتليهم فيه ويأمرهم به فهو الغاية من خلقهم ، قال سبحانه : ((وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ))[(٢)] .

(١) متفق عليه ، البخاري مع الفتح ٦ / ٥٨ رقم ٢٨٥٦ ، مسلم ١ / ٥٨ رقم ٤٩.

(٢) الذاريات ٥٦.

٣- لأن عليه مدار الأعمال فلا تقبل إلا به ، ولا معنى لها إلا به قال الله : ((فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ))[1] .

٤- لأن عليه مدار الجزاء قال ﷺ في حديث معاذ : ((حق العباد على الله ألا يعذب من لا يشرك به شيئاً))[2].

**الثاني :** معرفة فروعه وهي الطاعات ، وهذا علم وسيلة ، يُمارس به التوحيد ويُحقَّق ويُكمَّل ، ومعرفة نواقضه القادحة في أصله أو في كماله ، وهذا علم وسيلة يحفظ به التوحيد وبه حرزه وصيانته .

ومعرفة التوحيد والعلم به هو المقصد الأول من مقاصد دراسة التوحيد ، وتحققه أسس لا يحصل العلم بالتوحيد إلا بحصولها ومن لم يحصلها لم يعرف التوحيد ولم يحصله وهذه الأسس هي :

(١) محمد ١٩ .

(٢) متفق عليه ، البخاري مع الفتح ٦ / ٥٨ رقم ٢٨٥٦ ، مسلم ١/ ٥٨ رقم ٤٩.

**الأساس الأول :** العلم بأن التوحيد أول واجب على العبد ، وقد قررت هذا الأساس أدلة الشرع ، فدل عليه كتاب الله من وجوه :

١) الإخبار العام : قال سبحانه : ((وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ))[١] فأعلن سبحانه أن الخلق إنما خلقوا للتوحيد ، يؤمرون به ويبتلون فيه ، قال سبحانه : ((ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ))[٢] .

٢) الأمر بالتوحيد أولاً ، فأول أمر ورد في المصحف قوله سبحانه : ((يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ))[٣] وقال سبحانه : ((وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَـٰهًا

(١) الذاريات ٥٦.
(٢) الملك ٢ .
(٣) البقرة ٢١ .

وَٰحِدًاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ ))[1] وقال : ((وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ ))[2] وقال : ((قُلۡ إِنَّمَآ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشۡرِكَ بِهِۦٓ ))[3] وقال : ((قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ))[4] وقال : ((إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ ))[5] وقال : ((ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ ))[6] وقال لموسى عليه السلام في ابتداء الرسالة : ((إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠

(١)التوبة ٣١.
(٢) البينة ٥ .
(٣) الرعد ٣٦.
(٤) الزمر ١١ .
(٥) يوسف ٤٠ .
(٦) الأنعام ١٠٢.

فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ )) [1] فابتدأه بالأمر بالتوحيد .

٣) دلت الآيات أن الرسل إنما دعت إلى التوحيد وخاطبت أقوامها به ، وهذا جاء في الآيات مجملاً ومفصلاً ، أما المجمل فمنه قوله سبحانه : ((وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ))[2] وقوله : ((وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ )) [3] وقوله: ((وَٱذۡكُرۡ أَخَا عَادٍ إِذۡ أَنذَرَ قَوۡمَهُۥ بِٱلۡأَحۡقَافِ وَقَدۡ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦٓ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ ))[4] ففي

(١) طه ١٤ .
(٢) النحل ٣٦.
(٣) الأنبياء ٢٥.
(٤) الأحقاف ٢١.

هؤلاء الآيات الإخبار بأن جميع الرسل إنما دعت إلى التوحيد وأمرت به وابتدأت أقوامها بذلك ، أما المفصل فقد ذكرت الآيات ذلك في آحاد دعوات الرسل فمن ذلك قوله سبحانه : ((وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ ))[1] وقوله :(( وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ ))[2] وقوله : ((وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ))[3] وقوله : ((وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ))[4]

(١) المؤمنون ٢٣.
(٢) الأعراف ٦٥.
(٣) الأعراف ٧٣.
(٤) الأعراف ٨٥ .

وقوله : ((وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ۖ ))[١] وقوله : ((وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ ))[٢] وقوله : ((مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ ))[٣] .

وأما السنة فقد وردت الأحاديث مصرحة تارة ودالة تارة أخرى على كون التوحيد أول واجب على العبد ، فمن هؤلاء الأحاديث :

- حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه حين بعثه النبي صلى الله عليه وسلم إلى أهل الكتاب في اليمن قال له : (( فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله ))[٤] .

(١) العنكبوت ١٦.
(٢) المائدة ٧٢ .
(٣) المائدة ١١٧.
(٤) أخرجه البخاري ، انظر الصحيح مع الفتح ١٣/ ٣٤٧ رقم ٧٣٧٢.

- وقال ﷺ : (( أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ))[1] .
- وفي حديث أسامة بن زيد لما قتل الرجل الذي قال لا إله إلا الله ورأى أسامة أنه إنما قالها تعوذاً قال ﷺ : ((يا أسامة أقتلته بعدما قال لا إله إلا الله )) كررها ﷺ[2].

وقد تواتر عن النبي ﷺ ثم الصحابة أنهم قبلوا من جفاة الأعراب ممن كان يعبد الأوثان الإقرار بالشهادتين ، وحكموا بإسلامهم بذلك ، وكان يؤذن لكثير منهم في الرجوع إلى معاشه من رعاية غنم وغيرها[3] ، يقول ابن حجر : (( وفي كتب النبي ﷺ إلى هرقل وكسرى وغيرهما من الملوك يدعوهم إلى التوحيد ، إلى غير ذلك من

(١) متفق عليه ، البخاري مع الفتح ٦ / ١١١ رقم ٢٩٤٦ ، مسلم ١ / ٥٢ رقم ٢١.
(٢) متفق عليه ، البخاري مع الفتح ٧ / ١١٧ رقم ٤٢٦٩ ومسلم ١ / ٩٧ رقم ٩٦ .
(٣) انظر فتح الباري ١٣/ ٣٥٢ .

الأخبار المتواترة التواتر المعنوي الدال على أنه ﷺ لم يزد في دعائه المشركين على أن يؤمنوا بالله وحده ويصدقوه فيما جاء به عنه فمن فعل ذلك قبل منه))[1] .

ثم إن التوحيد شرط لصحة وقبول العبادات جميعها ، إن وقع شيء من الشرك في شيء منها حبطت ، كما قال الله : ((وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ )) [2]

وقال : ((وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ )) [3]

وفي الحديث القدسي : (( أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه))[4]، وتحصيل الشرط يسبق تحصيل المشروط ، ولا يكون المشروط إلا بشرطه، فيكون الشرط أول ما يُحصّل .

(١) الفتح ١٣/ ٣٥٣ .
(٢) الأنعام ٨٨ .
(٣) الزمر ٦٥ .
(٤) أخرجه مسلم ٤ / ٢٢٨٩ رقم ٢٩٨٥ .

ويشهد لهذا الأساس أعظم شهادة ، ويقرره أثبت تقرير، العلم بأن توحيد الله في ربوبيته لا يكفي في حصول الإسلام ، فالمشركون الذين بعث فيهم الرسل كانوا مقرين لله بالربوبية يفردونه بها ولا يشركون معه غيره فيها ، شهد الله لهم بهذا الإيمان فقال :(( وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ))(١) وهذا الإيمان الذي وصفهم به هنا هو الذي شرحه في آيات منها قوله تعالى : ((قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ))(٢) فهم كانوا يوحدون الله في ربوبيته ومع هذا لم يقبل الله منهم بل

(١) يوسف ١٠٦.
(٢) يونس ٣١.

بعث فيهم الرسل حتى قال خاتمهم ﷺ : (( أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله )) .

وإنما كان العلم بأن توحيد الربوبية وحده لا يكفي في حصول الإسلام ولا يحرم دماً ولا مالاً محققاً لهذا الأساس من أسس العلم بالتوحيد لأن غاية ما يحصل بتوحيد الربوبية معرفة الله تعالى ، ومعرفة الله متحصلة بالفطرة ، هي في أصل فطرة الخلق ، خلق الله خلقه بها بل أخذ عليهم الميثاق عليها ((وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآ ))[1] إنما أجابوا ((بلى)) لسبق المعرفة ، فاجتمع في معرفة الخلق بربهم وتوحيدهم له في ربوبيته الفطرة والميثاق فلم يبق إلا العمل لله والتوجه له بالعبادة ، ومن هنا كان التوحيد أول واجب على العبد فإن من عرف ربه لزمه التعبد له .

(١) الأعراف ١٧٢ .

**الأساس الثاني :** معرفة معنى كلمة التوحيد " لا إله إلا الله " فإنها شعار الملة وقاعدة التوحيد ، دلَّ تركيبها على التوحيد المراد لله المطلوب من العبد أبلغ دلالة ، وفي معرفة معنى كلمة التوحيد قاعدتان العلم بهما هو العلم بالتوحيد ، من لم يحصلها لم يحصل التوحيد، وهما :

**أولاً :** العلم بأنه لا توحيد إلا بنفي وإثبات ، نفي جنس الإلهية وجميعها عما سوى الله وإثباتها لله وحده ، ولا بد من اجتماع هذا النفي وهذا الإثبات لحصول التوحيد ، فإن الشرك إثبات الألوهية لله مع إثباتها أو شيء منها لغيره معه ، فمن أثبت الألوهية لله لا يكون موحداً حتى ينفيها عما سواه ، وعلى هذا رُكبت كلمة التوحيد ، فأولها نفي ( لا إله ) وآخرها إثبات ( إلا الله ) أولها تخلية وآخرها تحلية ، نسخت ثم رسخت ، سلبت ثم أوجبت ، نقضت ثم عقدت ، أفنت ثم أبقت ، وفي تركيب كلمة التوحيد تحقيق القصر والحصر ، قصر الألوهية على الله

وحده وحصرها له دون سواه ، وهذا القصر والحصر جاء في كلمة التوحيد من وجهين :

١- تقديم الصفة (الإ له) على الموصوف (الله) فقولنا الإله الله فيه حصر وتخصيص كقولك " المنطلق زيد " .

٢- إدخال حرفي النفي والاستثناء فصار ( لا إله إلا الله ) فأفاد الكلام قصر الصفة على الموصوف ، وإثبات حكمها له ونفيه عما عداه سبحانه[1] .

وفي هذا القصر والحصر إفراد الله عز وجل بالألوهية ، والإفراد يمنع جميع أصناف الشركة فهو يمنع التثنية ولذا قال سبحانه :((وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ )) [2] وهو يمنع التثليث قال سبحانه : ((وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا

(١) انظر الكليات للكفوى ص ٩٧٢ .

(٢) النحل ٥١ .

لَّكُمْۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ))[1] وقال : ((لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ))[2] وهو يمنع الكثرة ، قال سبحانه : ((أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ))[3] وقال : ((ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ))[4] وقال : ((أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةًۖ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ))[5].

وحسم الله أمر الإفراد بقوله : ((وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ))[6] .

(١) النساء ١٧١ .
(٢) المائدة ٧٣ .
(٣) الصافات ٨٦ .
(٤) يوسف ٣٩ .
(٥) الأنبياء ٢٤ .
(٦) التوبة ٣١.

وهذا النفي والإثبات تواردت على تقريره نصوص الشرع ، قال سبحانه: ((فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى))[1] وقال سبحانه : ((وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ))[2] وقال سبحانه: ((قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا ))[3] وهذا النفي والإثبات هو خلاصة دعوة الرسل مبتدؤها ومنتهاها قال سبحانه : ((وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ))[4] ، ((اعْبُدُوا اللَّهَ)) إثبات و((وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ)) نفي .

(١) البقرة ٢٥٦ .
(٢) النساء ٣٦.
(٣) آل عمران ٦٤.
(٤) النحل ٣٦.

**ثانياً :** العلم بأن كلمة التوحيد لا تنفع قائلها إلا بشروط ، هذه الشروط هي حقوقها الواجبة لها اللازمة من قولها ، فمن قال : لا إله إلا الله ولم يحقق هذه الشروط لم يحققها ، ولذلك سُمي قولها شهادةً ، لأنه لا يكون الخبر شهادة حتى يكون مع علم قاطع مستجمع لشروط الثبوت[1] ، ولذلك كذب الله المنافقين لما قالوا ((نشهد إنك لرسول الله )) قال الله : ((وَٱلله يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ لَكَـٰذِبُونَ))[2] لأنهم لم يأتوا بحقوقها ، فتسمية قول : لا إله إلا الله ، شهادةً دال على أن مجرد قولها من غير قيام بحقوقها ليس هو الشهادة التي يريدها الله من عباده ، ولذلك قيد الشرع الإخبار عن أنه لا إله إلا هو بلفظ الشهادة قال الله : ((شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ

(١) المنافق ١ .
(٢) انظر مدارج السالكين ٣ / ٤٥٠ .

إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ))[1] ، وفي حديث ابن عمر (( بني الإسلام على خمس : شهادة ألا إله إلا الله ....... ))[2] الحديث ، وفي الحديث ((أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا ألا إله إلا الله .......))[3] الحديث .

فـ((لاإله إلا الله)) لفظ ومعنى ، ليست لفظاً فقط ، ومن قالها لفظاً ولم يحقق معناها لم يبقى معه إلا لقلقة اللسان وقعقعة الحروف،وهو قول لاتوحيد معه،فكما أن ذكر النور لايضيء،وذكر الماء لايروي،وذكر الخبز لايشبع،وذكر السيف لايقطع،فكذلك ذكر الكلمة لايحصل به التوحيد.

فالقول قشر والمعنى لب،وماذا يصنع بالقشر مع فقد اللب؟!والقول صدف والمعنى در،وماذا يصنع

(١) آل عمران ١٨ .

(٢) متفق عليه ، صحيح البخاري مع الفتح ١ / ٤٩ ح ٨ ، ومسلم ١ / ٤٥ ح ١٦ .

(٣) تقدم تخريجه

بالصدف مع فقد الدر؟!. (لا إله إلا الله) من معناها بمنزلة الروح من الجسد،لاينتفع بالجسد دون الروح،فكذلك لاينتفع بهذه الكلمة دون معناها[1].
وقد فسرت النصوص شروط " لا إله إلا الله " التي يصح بها قول " أشهد ألا إله إلا الله " واستقرأها بعض أهل العلم فبلغت سبعة شروط اتفقت كلمة أهل العلم على اعتبارها ، لقيام أدلة الكتاب والسنة لكل واحد منها شرطاً معتبراً في تحقيق الشهادة بألا إله إلا الله ، وهذه الشروط هي :

- العلم المنافي للجهل ، وإنما كان العلم شرطاً لأن من يقول ما لا يعلم معناه لا فائدة من كلامه فلا بد للقائل أن يعلم ما يقول ، ومن قالها مقلداً تقليداً تاماً كلياً بدون فهم لما دلت عليه ولا علم بما وضعت له لم ينفعه قولها .

(١)أنظر الدرر السنية ١/ ١١٣.

- اليقين المنافي للشك والتردد ، السالم من الشبهات ، وإنما كان شرطاً لأن العلم لا يكمل إلا به فليس كل من علم شيئاً استيقنه .
- القبول المنافي للرد ، سواءً كان هذا الرد عن عنادٍ أو إباءٍ أو استكبار أو إعراض ، وإنما كان هذا القبول شرطاً لأن به تمام اليقين ، فمن تيقن الشيء ثم رده ولم يقبله نقض ردُّه يقينَه فلم ينفعه يقينه شيئاً .
- الانقياد المنافي للترك ، وإنما كان شرطاً لأن به تمام القبول ، لأن من قبل ولم ينقد لا ينفعه قبوله شيئاً .
- الصدق المنافي للكذب المانع من النفاق ، وإنما كان شرطاً لأن به صحة الانقياد فمن انقاد من غير صدق كان منافقاً .
- المحبة المنافية لضدها ، وإنما كانت شرطاً لأن بها تمام الصدق ، فمن صدق بها ثم لم يحبها قدح ذلك في تصديقه.
- الإخلاص المنافي للشرك وهو شرط الشروط فإن من قبل وانقاد وصدق وأحب ملاحظاً غير الله ملتفتاً إليه مع الله لم ينفعه ذلك شيئاً .

فهاتان القاعدتان من لم يعرفهما لم يعرف معنى كلمة التوحيد ، ومن لم يعرف معنى كلمة التوحيد لم يعرف التوحيد الواجب ، واشتبه عليه التوحيد بالشرك كما هو حال كثير ممن يظن أن مجرد قول لا إله إلا الله عاصم من حكم الشرك وجزائه وإن تلبس به .

**الأساس الثالث :** العلم باقتضاء العلم العمل ، وذلك لـ (( أن العلم يراد للعمل فإنه بمنزلة الدليل للسائر فإذا لم يسر خلف الدليل لم ينتفع بدلالته ، فنزل منزلة من لم يعلم شيئاً ، لأن من علم ولم يعمل بمنزلة الجاهل الذي لا يعلم ، كما أن من ملك ذهباً وفضة وجاع وعري ولم يشتر منها ما يأكل ويلبس فهو بمنزلة الفقير العادم ))[1] ، وقد رتب الله على العلم بالتوحيد العمل به فقال : ((فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ

(١) ما بين القوسين من كلام ابن القيم في مفتاح دار السعادة ١ / ٣٤٤ .

لِذَنۢبِكَ ))[1] قاله لنبيه محمد ﷺ ، وقال سبحانه لموسى عليه السلام : ((إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ))[2] وهو كقوله لمحمد ﷺ ، وعلى هذا تواردت رسالات الرسل جميعاً إلى أقوامهم ، كما قال تعالى : ((وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ))[3] فرتب على العلم العمل ، والعمل بالتوحيد هو الغاية المطلوبة فمن لم يعلم ذلك لم يعلم التوحيد حق العلم وعاد علمه جهلاً .

---

(١) محمد ١٩ .
(٢) طه ١٤ .
(٣) الأنبياء ٢٥ .

**المبحث الثاني : العمل بالتوحيد**

هذا هو المقصد الثاني من مقاصد دراسة التوحيد وهو جوهر التوحيد ، وهو الصراط المستقيم المتوسط بين طريقي الزيغ والضلال فإن أهل الباطل على أحد طريقين : إما على علم من غير عمل وهذه حال المغضوب عليهم ، وإما على عمل من غير علم وهذه حال الضالين ، والوسط بينهما هو العمل على علم : ((ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ )) ولهذا المقصد أسس يتحقق بها ، من لم يحصلها لم يحصله .

**الأساس الأول :** متابعة الرسولﷺ ، وهذا هو معنى شهادة أن محمداً رسول الله ومقتضاها ، فإن الله جعل التعبد له بطاعة رسوله فلا عبادة إلا ما ورد عن طريقه ولذلك قال ﷺ (( من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد ))[1] وقال (( خير الهدي هدي محمد ))[2] وقال

(١) أخرجه مسلم ٣/ ١٣٤٤ ح ١٧١٨ .
(٢) مسلم ٢/ ٥٩٢ ح ٨٦٧ .

(( عليكم بسنتي )) [1] وقد قال الله : ((وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ ))[2] وقال سبحانه : ((وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ ))[3] وقد تكرر كثيراً في كتاب الله ذكر طاعة الرسول ﷺ وإتباعه كقوله:((مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ))[4] ولا توحيد إلا ما جاء به ﷺ .

والمتابعة أحد أصلي التوحيد وأساسيه فالتوحيد إخلاص القصد لله وإخلاص المتابعة لرسول الله ﷺ ، ويكفي في هذا قوله تعالى : ((فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ))[5] فهذا قسم من

(١) حم ٢٨ / ٣٧٣ ح ١٧١٤٤ ، أبو داود ٤ / ٢٠١ ح ٤٦٠٧

(٢) الحشر ٧.

(٣) النساء ٦٤

(٤) النساء ٨.

(٥) النساء ٦٥.

الرب بربوبيته على نفي الإيمان عمن لم يحكم الرسول ﷺ ويرضى بحكمه منشرح الصدر له مسلماً له تسليماً مطلقاً لا معارضة فيه قلبية ولا عملية . وقوله سبحانه : ((يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٞ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ))[1] وتحكيم النبي ﷺ والرد إليه يكون إليه نفسه ﷺ حال حياته وإلى سنته الثابتة عنه بعد موته ﷺ ، فتكون متابعة الرسول بمتابعة سنته الثابتة بالنقل الصحيح الثابت عنه .

ومن اتخذ الله إلهاً معبوداً فليتبع ما جاء به رسوله ، ومن اتبع عقله أو إماماً يطيعه في غير طاعة الله فقد عبد ذلك من دون الله ، وأشرك وخرج عن مقتضى التوحيد .

**الأساس الثاني :** إتباع سبيل المؤمنين ، أي سلوك طريقهم في عقائدهم وأعمالهم قال الله : ((وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ

(١) النساء ٥٩.

أَنَابَ إِلَيَّ ))[1] وقال سبحانه : ((وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ))[2]

وقد توعد الله من يتبع غير سبيل المؤمنين فقال : ((وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ))[3]

فهذا يوله الله ما تولى ويتركه لما اختاره لنفسه ويخذله لا يوفقه للخير لكونه رأى الحق وعلمه وتركه ، فجزاؤه من الله عدلاً أن يبقيه في ضلاله حائراً ويزداد ضلالاً إلى ضلاله

(١) لقمان ١٥.

(٢) الكهف ٢٨ .

(٣) النساء ١١٥.

كما قال تعالى : ((فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ ))[1] وقال : ((وَنُقَلِّبُ أَفۡـِٔدَتَهُمۡ وَأَبۡصَٰرَهُمۡ كَمَا لَمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٖ))[2] ويدل مفهوم الآية على أن من اتبع سبيل المؤمنين يحفظه الله ويعصمه ويوفقه ويهديه كما قال في يوسف : ((كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ ))[3] ، وأولى سبيل المؤمنين بالاتباع سبيل الصحابة رضوان الله عليهم ، فهو أفضل السبيل وأكمله كيف لا وهم أفضل قرون بني آدم كما ثبت بذلك الحديث عنه ﷺ (( خير الناس قرني ))[4] وقال (( بعثت من خير قرون بني آدم قرناً فقرناً حتى كنت من القرن الذي كنت فيه))[5] فاتباعهم رضي الله عنهم هو

---

(١) الصف ٥ .
(٢) الأنعام ١١٠ .
(٣) يوسف ٢٤ ، وانظر تفسير السعدي لآية النساء المذكورة .
(٤) متفق عليه ، البخاري مع الفتح ٥ / ٢٥٩ ، ومسلم ٤ / ١٩٦٣ .
(٥) أخرجه البخاري ، الصحيح مع الفتح ٦ / ٥٥٦ .

أتم الاتباع وقد قال فيهم ﷺ (( أصحابي أمنة لأمتي فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون ))[1] فهذه شهادة منه ﷺ أن أصحابه أمان لأمته من ظهور الشرك والبدع ما بقي منهم أحد في الأمة ، فهدي الصحابة هو أهدى سبيل يتبعه المؤمن ، وإنما كان ذلك كذلك وكان اتباع الصحابة واجباً على أهل التوحيد لأمور :

١ - أنهم رضي الله عنهم أول من خوطب بالشريعة

٢ - أن الشريعة نزلت بلغتهم وعلى صروف معاشهم .

٣- أنهم رضي الله عنهم فهموا مراد الشارع أحسن ما يكون الفهم وطبقوه أحسن ما يكون التطبيق.

٤- أن تطبيقهم للتوحيد كان بإشراف الرسول ﷺ والوحي ينزل يوجه ويصحح .

**الأساس الثالث :** (( رد الشبهة التي وضعها الشيطان في ترك القرآن والسنة واتباع الآراء والأهواء

(١) أخرجه مسلم ٤ / ١٩٦١ .

المتفرقة المختلفة، وهي أن القرآن والسنة لا يعرفهما إلا المجتهد المطلق ، والمجتهد هو الموصوف بكذا وكذا أوصافاً لا توجد تامة في أبي بكر وعمر ، فإن لم يكن الإنسان كذلك فليعرض عنهما فرضاً حتماً لا شك ولا إشكال فيه ، ومن طلب الهدى منهما فهو إما زنديق وإما مجنون لأجل صعوبة فهمها ، فسبحان الله وبحمده كم بين الله سبحانه شرعاً وقدراً خلقاً وأمراً في رد هذه الشبهة الملعونة من وجوه شتى بلغت إلى حد الضروريات العامة ولكن أكثر الناس لا يعلمون : ((لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾ إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَـٰقِهِمْ أَغْلَـٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَـٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾ وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا

تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ ۖ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ[1] ))[2] .

**المبحث الثالث : الاجتماع على التوحيد**

هذا هو المقصد الثالث من مقاصد دراسة التوحيد ، جمع أهله عليه ، وإنما أرسل الرسول وأنزل الكتاب لتحقيق هذا الاجتماع ، وهو الاجتماع الذي أعلنه الله في قوله : ((إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ))[3] أمة واحدة مجتمعة على عبادة ربها ، ويحقق هذا المقصد عدة أسس إن لم تحصل لم يحصل الاجتماع المقصود ، وهذه الأسس هي :

---

(١) يس ٧ ، ١١ .

(٢) هذا هو نص الأصل السادس من الأصول الستة التي كتبها الشيخ محمد بن عبد الوهاب انظره في ص ٣٩٦ – ٣٩٧ من القسم الأول من مؤلفات الشيخ .

(٣) الأنبياء ٩٢ .

**الأساس الأول :** معرفة أهل التوحيد : من هم ؟

فإن الاجتماع إنما يكون على التوحيد فلا بد من معرفة أهله الذين يحصل بهم الاجتماع ، وأهل التوحيد هم الذين حصلوا المقصدين السابقين، الذين عرفوا التوحيد وعملوا به ، وقد جمع الله وصفهم في قوله : ((أَلَا إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ))[1] فهؤلاء هم أهل التوحيد ، (آمنوا) أي عرفوا التوحيد واعتقدوه ، (وكانوا يتقون) أي يعملون بالتوحيد ويستقيمون عليه ، فالانتساب إلى التوحيد ليس دعوى يدعيها العبد بلسانه بل هي اعتقاد وسلوك حسم الله أمره في قوله : ((قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ))[2] وهذه آية المحنة يُمحَّصُ بها الدعيُّ من النسيب .

---

(١) يونس ٦٢.

(٢) آل عمران ٣١ .

**الأساس الثاني :** موالاة أهل التوحيد ، وهذه هي ممارسة الاجتماع ، موالاة أهل التوحيد بمحبتهم وخفض الجناح لهم ، والتعبد بالشرائع معهم ، والاجتماع على الشعائر في جماعتهم ، ومناصرتهم ، وتولى حفظ التوحيد والذب عنه معهم ، على نحو ما قال الله : ((يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ يُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ))[1] فذكر لأصول العامة للموالاة ، وهذه الموالاة لا تكون إلا لأهل التوحيد : ((وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ))[2] ((إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾

(١) المائدة ٥٤ .
(٢) التوبة ٧١ .

وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَـٰلِبُونَ ))[1]. والصورة العامة لموالاة أهل التوحيد هي : (لزوم جماعتهم) ، قال ﷺ (( عليكم بالجماعة ))[2] وقال (( يد الله مع الجماعة ومن شذ شذ إلى النار))[3].

**الأساس الثالث :** السمع والطاعة لولي أمر الجماعة ، فإن به تمام الاجتماع ، فإن ولي الأمر هو القوة التي يُحمى بها التوحيد ، هو يفرض هيبته ويسنده ويحميه فهو صمام الأمان لإقامة التوحيد في الجماعة وحمايته ، وهو صمام الأمان لالتئام الجماعة وحفظ اجتماعها وصيانة بيضتها ، وهو شعار الجماعة ودليل اجتماعها ، ولا معنى لولاية الأمر إلا بالسمع والطاعة ، ولهذا كثر في نصوص الشرع ما يبين ذلك بياناً شافياً كافياً من أمر بالإمامة وإلزام عنق المؤمن بيعة للإمام ، ونهي عن

(١) المائدة ٥٥.
(٢) الترمذي ٤٧ / ٤٠٤ ح ٢١٦٥ .
(٣) الترمذي ٤ / ٤٠٤ ح ٢١٦٧ .

الخروج على الأئمة ، وإلزام بطاعتهم على أي حال كانت سيرتهم أو أي حال كان عليها الواحد من رعيتهم والأمر بالصبر على مساوئهم ، وغير ذلك من أفراد الأحكام والآداب الشرعية التي تقوم بها شعيرة السمع والطاعة وتصان من القوادح ، كل ذلك إقامة للجماعة ورعاية وصيانة للاجتماع .

قال الله عز وجل : ((يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ))(١) وقال ﷺ (( على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب أو كره إلا أن يؤمر بمعصية))(٢) وقال ﷺ (( من خلع يداً من الطاعة لقي الله يوم القيامة لا حجة له))(٣) .

**الأساس الرابع :** البراءة من المشركين ، وبه تمييز جماعة أهل التوحيد عن مخالفيهم ، وتعيين منهجهم

(١) النساء ٥٩ .

(٢) متفق عليه ، البخاري مع الفتح ١٣ / ١٢١ ح ٧١٤٤ ، مسلم ٤ / ١٤٦٩ ح ١٨٣٩ .

(٣) مسلم ٤ / ١٤٧٨ ح ١٨٥١ .

وخصوصيتهم والحد الفاصل بينهم وبين من يضادهم ، وإبراز موضع الموالاة والمعاداة لهم ، والبراءة من المشركين صنو التوحيد وهي رأس في منهجه قال الله : ((قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ))[1] فهذان هما ركنا التوحيد الذي يقوم عليهما : العبودية لله وحده ، والبراءة ممن يعبد غيره.

وقد كثر في كتاب الله التأكيد على هذا الأساس من وجوه يطول حصرها ، منها أن الله جزم النهي عن موالاتهم فقال:((لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ))[2] ونحوها من الآيات ، ومنها أن الله نهى عن مجرد مداهنة المشركين أو الركون إليهم ولو شيئاً قليلاً ، قال سبحانه: ((وَدُّواْ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ))[3] وقال:

(١) الأنعام ١٩ .
(٢) آل عمران ٢٨ .
(٣) القلم ٩ .

((وَلَوۡلَآ أَن ثَبَّتۡنَٰكَ لَقَدۡ كِدتَّ تَرۡكَنُ إِلَيۡهِمۡ شَيۡـٔٗا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذٗا لَّأَذَقۡنَٰكَ ضِعۡفَ ٱلۡحَيَوٰةِ وَضِعۡفَ ٱلۡمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيۡنَا نَصِيرٗا))[1] وقال : ((وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ))[2] ومنها أن الله وبخ الذين يتولون الكافرين وتوعدهم ونفى عنهم الإيمان ، قال تعالى : ((تَرَىٰ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ يَتَوَلَّوۡنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ لَبِئۡسَ مَا قَدَّمَتۡ لَهُمۡ أَنفُسُهُمۡ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَفِي ٱلۡعَذَابِ هُمۡ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوۡ كَانُواْ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِيِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمۡ أَوۡلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ))[3]

(١) الإسراء ٧٤ .
(٢) هود ١١٣ .
(٣) المائدة ٨٠ – ٨١ .

وجعل سبحانه إبراهيم عليه السلام أسوة حسنة للمسلمين في البراءة من الشرك وأهله : ((قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ))(١) .

**المبحث الرابع : الدعوة إلى التوحيد :**

هذا هو المقصد الرابع من مقاصد دراسة التوحيد ، وهو ثمرة الانتفاع بالتوحيد ، فمن عرف التوحيد وعمل به وتميز به عن غيره يقوم بتعدية هذا النفع إلى الغير بدعوته إليه .

---

(١) الممتحنة ٤ .

والدعوة إلى التوحيد واجبة على كل مسلم قال سبحانه : (( قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ))[1] ، وقال ﷺ (( بلغوا عني ولو آية ))[2].

ولهذا المقصد أساسان لا يكون إلا بهما :

**الأساس الأول :** البصيرة في الدعوة ، والبصيرة هي العلم اليقين الذي لا باطل فيه ولا شك معه ، ولقد كانت أول آية نزلت بعد ((إقرأ)) هي ((يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ )) فقوله ((إقرأ)) فيها البصيرة التي تهيئ الداعية للدعوة ، وللبصيرة أربعة مظاهر تنشأ عنها وتدل عليها هي الواردة في سورة المدثر: أولها قوله تعالى: ((وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ )) فتعظيم التوحيد وأن يكون القصد من الدعوة أن يعظم العباد ربهم ويقوموا بحقه هو من البصيرة في الداعي ، ثانيها قوله : ((وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ )) فالعمل بالتوحيد طاهراً من القوادح هو من البصيرة في

---

(١) يوسف ١٠٨ .

(٢) أخرجه البخاري ، الصحيح مع الفتح ٦ / ٤٩٦ ح ٣٤٦١ .

الداعي ، ثالثها قوله : ((وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ)) فترك الشرك وما دونه من أعمال العصيان وهجرها هجراً جازماً بتركها وأماكنها وأهلها من البصيرة في الداعي ، رابعها قوله : ((وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ)) فاتخاذ الدعوة إلى الله قربة لله لا منة فيها على أحد ، ولا طلباً لوجاهة وذكر ، ولا انتظاراً لأجر ومقابل ، من البصيرة في الداعي .

**الأساس الثاني :** الحكمة في الدعوة ، وتكون بثلاثة أمور :

**أولها :** طلب هداية المدعو لا منافرته ومغالبته قال الله : ((لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ))[1] فهذه حال الداعي حريص على هداية المدعو ، يشق عليه ما يشقيه ويبعده عن الحق ، قال ﷺ (( والله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم))[2] .

(١) التوبة ١٢٨ .

(٢) البخاري مع الفتح ٦ / ١١ ح ٢٩٤٢ ومسلم ٤ / ١٨٧٢ ح ٢٤٠٦ .

**ثانيها :** المخاطبة بالحسنى والمعاملة باللين واللطف ، قال تعالى : ((ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ))(1) وقال سبحانه : ((ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ))(2) وقال سبحانه : ((فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَ))(3) .

**ثالثها :** الصبر ، ففي ختام توجيهاته لرسوله بعد قوله : ((قُمۡ فَأَنذِرۡ )) قال الله : ((وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ)) ، وقال له : ((فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ ))(4) ، والصبر هو تمام الحكمة وميزانها في الدعوة إلى التوحيد ،

---

(1) النحل ١٢٥ .

(2) طه ٤٣- ٤٤ .

(3) آل عمران ١٥٩.

(4) الأحقاف ٣٥ .

الصبر على المتلقي حتى يسمع ويفهم ويعلم ويتيقن ، والصبر على مكابرته أو ممانعته ، والصبر على أذيته وعدوانه ، والصبر على الحوائل بينك وبينه .

وبعد ، فهذه مقاصد دراسة التوحيد من درس التوحيد أحسن ما تكون الدراسة خرج بثمرة هذه المقاصد وتحققت منه ، فهي أهداف تقوم عليها حصيلة دراسة التوحيد فإن أي خلل في دراسة التوحيد إنما يظهر نوعه ووجهه في واحد من هذه المقاصد .

نسأل الله التوفيق لأكمل الأحوال ، هو الموفق لا شريك له ، والحمد لله أولاً وآخراً لا شريك له .

**وكتب**
**أ. د. محمد بن عبد الرحمن أبو سيف الجهني**
**الأستاذ بقسم العقيدة بالجامعة الإسلامية في المدينة المنورة .**

## الفهرس الموضوعات